الرشاطي الأندلسي

الأستاذ عبد القادر زمامة

كانت الحاجة وما تزال ماسَّة في المباحث الراجعة إلى اللغة والتاريخ والجغرافية والحديث والفقه والأدب والحضارة وغيرها من العلوم الإسلامية ، إلى تصحيح وبيان « المؤتلف والمختلف » من الأعلام والألقاب والأنساب والكنى وما إلى ذلك .

فالباحثون والدارسون والرواة والرحَّالون منذ العهد الأول لتدوين العلوم الإسلامية ، أدبية وشرعية ، أَوْلَوا الموضوع جانباً كبيراً من اهتماماتهم ، وتسابقوا إلى تدوين هذا الرصيد من المؤلفات التي تتسع مجالاتها تارةً وتضيق تارةً أخرى . وهي في اتساعها وضيقها وتخصيصها وتعميمها واختلاف مناهجها في التناول والترتيب تُصَنَّفُ – في الغالب – داخل إطارين هما :

– **كتب الأنساب .**

– **وكتب المؤتلف والمختلف .**

ولا حاجة هنا إلى التنصيص على أننا نجد من مؤلفي كتب **الأنساب والمؤتلف والمختلف** المؤرّخَ ، والمحدِّثَ ، والفقيه ، واللغويّ ، والأديب ، والرحّالة ، وغيرهم ، من أهل المشرق والأندلس والمغرب في عصور مختلفة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كما أنه لا حاجة هنا إلى التنصيص على أن عدداً لا يُستهان به من رصيد اللغة العربية في هذا الموضوع قد عرف طريقه إلى النور ، طبعاً وتحقيقاً ودراسة ورواجاً في هذا العصر .

إلا أننا نعلم أن هناك أيضاً عدداً لا يُسْتهان به من هذا الرصيد الثمين المفيد ما يزال ـــ كلياً أو جزئياً ـــ في عالم الخزائن ، مجتمعاً أو متفرقاً ترفعه رافعة ، وتخفضه خافضة .

ومن جملة ذلك كتاب :

ـ **اقتباس الأنوار والتماس الأزهار من أنساب الصحابة ورواة الآثار** ، لمؤلفه أبي محمد عبد الله الرُّشاطي الأندلسي ، لهذا وجدت نفسي مندفعة إلى كتابة هذا المقال الموجز ، أتحدث فيه عن هذا المؤلِّف الأندلسي وعن كتابه المذكور .

هناك معالم من ترجمة **الرُّشاطي** فيه عدة مصادر ، أندلسية ومشرقية ، من أهمها كتاب « **معجم أصحاب أبي علي الصَّدَفي** » الذي ألفه المؤرخ البلنسي أبو عبد الله ابن الأبَّار القضاعي (٦٥٨هـ = ١٢٦٠م)[1] .

ومن ترجمته هناك نستفيد اسمه ، ونسبه ، وميلاده ، وبعض شيوخه ، وبعض تلاميذه ، وبعض الغمرات العلمية التي خاضها مع معاصريه .

فهو عبد الله بن علي اللخمي الرشاطي الحافظ النسَّابة من أهل مدينة **أوريولة** ، وُلد بها في سنة (٤٦٦هـ = ١٠٧٣م) وانتقل صغيراً مع أسرته إلى مدينة **المرية** وهو ابن ستة أعوام .

(١) المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي : ٢١٧ ـ ٢٢٢ (ط. مدريد ١٨٨٥م) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما والده علي فقد كان من أهل الفضل والعلم ، وهو من أصحاب أبي الوليد الباجي الفقيه القاضي الأندلسي الشهير (٤٧٤هـ = ١٠٨١م) انتقل بأسرته إلى المرية في نحو سنة (٤٧٢هـ = ١٠٧٩م) أواخر عهد ملوك الطوائف .

وقد كتب له ترجمة قصيرة المؤرخ الحافظ محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي في كتابه **الذيل والتكملة** كما كتب أيضاً ترجمة قصيرة لنجل مؤلفنا **الرُّشاطي** المسمَّى عليا[٢] .

وهكذا يكون أبو محمد الرشاطي ولد بأوريولة ، وانتقل صغيراً إلى المرية . وبها نشأ وتعلم ولازم الأساتذة ، ومنها انتقل إلى مدن أندلسية أخرى بحثاً عن شيوخ المعرفة وأعلامها على عادة الأندلسيين .

وفي حدود المعلومات التي نتوفر عليها الآن من معالم ترجمة الرشاطي لا نعلم أنه قام برحلة خارج الأندلس ، لا إلى المشرق ولا إلى المغرب .

وكل ما نعلم أنه كان من الشخصيات العلمية البارزة في مدينة المرية ، على عهد دولة المرابطين التي كانت تحكم الأندلس في ذلك العصر ، وأنه كان مشهوراً ببعده عن صراعات عصره ، إلا أن ذلك لم يمنعه – وهو الخبير بأحوال بلاده – من أن يشيد بما قامت به دولة المرابطين من تحصينات وغزوات ، وما كان يقوم بها رجالها في الأندلس ، وما يحققونه من إنجازات أكسبتهم – كما يقول الرشاطي – احتراماً وهيبة وتقديراً داخل الأندلس وخارجها .

ولقد كتب الرشاطي في مادة « المرية » فقرات تفيض حيوية وتقديرا وتنويهاً بأعمال أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وما ظهر منها في ثغر

---

(٢) الذيل والتكملة ٥/١ : ٢٣٤ (ط. بيروت ١٩٦٥م) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المرية على الخصوص قائلاً :

« وهي الآن في سنة سبع وعشرين وخمسمائة أعمر دار في الدنيا ، متخدة لهذا الشأن ، فيها من الآلات البحرية والعدد الحربية ما لم تجمعه دار قط » .

ومن أشهر شيوخ الرشاطي في الأندلس :

– أبو علي الصدفي القاضي الشهيد المعروف بابن سُكَّرة ٥١٤هـ ١١٢٠م .

– أبو علي الغساني المحدث الشهير المعروف بالجياني ٤٩٨هـ ١١٠٥م .

– أبو بكر بن العربي المعافري دفين فاس ٥٤٣هـ ١١٤٨م .

ومن أشهر تلامذته :

– أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي المعروف بابن قرقول ٥٦٩هـ ١١٧٣م.

– أبو بكر محمد بن خير الأموي صاحب الفهرسة الشهيرة ٥٧٥هـ ١١٧٩م .

– أبو القاسم ابن بشكوال صاحب الصلة ٥٧٨هـ ١١٨٢م .

وكتب هذا الأخير لأستاذه الرُّشاطي ترجمة متوسطة أثنى فيها على كتاب : اقتباس الأنوار[٣] .

والرشاطي في عصره اشتهر بحفظ الحديث وروايته والاهتمام بتراجم الرواة وأنسابهم وأسمائهم وألقابهم وأوطانهم ، وانقطع إلى البحث والتحقيق في

---

(٣) الصلة ١ : ٢٨٥ (ط. القاهرة ١٩٥٥م) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ضبط المعالم والأعلام وأعانه على ذلك تضلُّعُه من علوم اللغة والأنساب والتاريخ وجغرافية الأقاليم الشرقية والغربية ، وقد ترجم له الحافظ الذهبي في كتابه : « تذكرة الحفاظ[٤] » باعتباره من حفاظ الحديث المشهورين في الأندلس .

وبطبيعة الحال يكون تأليفه لكتاب : « اقتباس الأنوار » نتيجة لهذا الاهتمام حيث ذلل بعمله هذا كثيراً من الصعوبات أمام تلامذته وأمام رجال العلم والرواية في عصره وأفاد أجيالاً جاءت بعده بقرون ، فاهتمت بكتابه ونقلت عنه الشيء الكثير . وألف الرشاطي كتباً أخرى ذكرها ابن الأبار في ترجمته التي أشرنا إليها سابقاً . لكنه يجدر بنا أن نقف عند واحد منها يلفت الأنظار ، ألفه الرشاطي وهو يخوض غمرة من غمرات الحياة العلمية مع أحد أعلام عصره ، وهو القاضي المفسر عبد الحق بن عطية مؤلف التفسير الشهير : « المحرر الوجيز » ٥٤٢هـ١١٤٨م وقد كان ابن عطية قاضياً في مدينة المرية وكان الرشاطي من علمائها الأعلام فحينما ظهر كتاب : « اقتباس الأنوار » واطلع عليه القاضي ابن عطية ، كتب انتقاداً له . يقول ابن الابار[٥] :

« وعابه بأشياء أوردها في تضاعيفه لم يخل فيها من تحامل وتعسف ، كان تركها أولى به » .

ولم يترك الرشاطي هذا « الانتقاد » الذي كتبه القاضي المفسر ابن عطية يمضي في طريقه منفرداً إلى مجالس العلماء ومحافل الباحثين بل إنه ألف كتاباً سماه :

---

(٤) انظر تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٣٠٧ . ط الهند ١٣٣٤هـ .

(٥) معجم أصحاب أبي علي الصدفي ص٢١٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« إظهار فساد الاعتقاد ببيان سوء الانتقاد » رد فيه على : « انتقاد » ابن عطية . ولا شك أنه كان لكل من القاضي ابن عطية والمحدث الرشاطي من يقف إلى جانبه وينتصر لرأيه .

وهذه غمرة خاضها الرشاطي في حياته العلمية بالمرية لا نعلم الآن الكثير عن تفاصيلها ، باستثناء ما أفادنا به المؤرخ ابن الأبار في ترجمة الرشاطي .

ويأبى القدر إلا أن يودع أبو محمد الرشاطي حياته العلمية الحافلة التي كانت تعطي ثمارها الناضجة في محافل البحث ومجالس الدرس وخلوات الكتابة والمطالعة والتأليف وداع العلماء الأبرار الصالحين الشهداء ، وذلك سنة ٥٤٢هـ = ١١٤٧م عندما دُخلت المرية على أهلها ، بعد حصار شديد ودفاع مستميت .

والباحثون عادة يخوضون في ضبط كلمة : « الرُّشاطي » ويبحثون عن أصلها ، وقد نقل الحافظ ابن عبد الملك المراكشي في كتابه : « الذيل والتكملة » عن كتاب : « اقتباس الأنوار » ما رواه الرشاطي عن عمة والده : « أسماء » في أصل هذه التسمية التي عُرف بها أحد أجداده . وسبب اطلاقها عليه ثم على ذريته من بعده[٦] .

---

(٦) الذيل والتكملة ٢/٨ : ٤٧٨ (تح. د. محمد بن شريفة/ الرباط ١٩٨٤) . [ويشير الباحث الفاضل إلى ما قاله ابن عبد الملك في الذيل والتكملة وهو : « حكى أبو محمد عبد الله بن علي ... [الرشاطي] في كتابه : اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار نسبته الرشاطي وقال : ونقلته من خطه : هذه نسبتنا التي اشتهرنا بها ، وقد كنت أظن أنها نسبة إلى موضع أو بلد ، فسألت عن ذلك أبي رحمه الله فقال : هذه نسبة قد شهرنا بها نحن وأباؤنا ولا أعلم لها أصلاً ، فسألت عن ذلك « أسماء » عمة أبي رحمهما الله فقالت : إن أحد أجدادنا كانت به في جسمه شامة كبيرة هي التي =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبـالاطلاع على ذلك تُطوى صفحـة الظنون الأخطـاء والفروض والاحتمالات التي خاض فيها كثير من المؤلفين والباحثين قديماً وحديثاً في أصـل هذه التسمية وسجلوا ذلك في مؤلفات ومعاجم وأبحاث معروفة . ومنهم السيوطي الذي يقول : رشاطة بلد بالغرب(٧) .

لأن كلام الرشـــاطي حجة في الموضوع ولأن ابن عبد الملك نقل ذلك عن كتاب : « اقتباس الأنوار » مباشرة . وقد سبقه المؤرخ ابن خلكان إلى ذلك عند ترجمته للرشاطي في وفيات الأعيان(٨) .

ومن الطـريف فيمـا يرجع لاهتمام رجـال المعـاجـم والموسـوعات بالرُّشاطي ، أن يستدرك الشيخ مرتضى الزبيدي١٢٠٥هـ-١٧٩٠م مؤلف تاج العروس اسم الرشاطي على الفيروزابادي مؤلف القاموس المحيط ٨١٧هـ ١٤١٥م ويعاتبه قائلاً :

« وقد أغفله المصنف وهو آكد من كثير من الألفاظ العجمية التي يوردها(٩) » .

وعتاب الزبيدي مُنْصَبٌّ على الفيروزابادي لأنه كان يعرف الرشاطي من خلال آثاره – ولا سيما اقتباس الأنوار – وينقل عنه في عدة مواد لغوية في قاموسـه المحيط مشـيراً إليه باسمه الخاص – الرشـاطي – ومع ذلك لم

= تعرف بالوردة ، ويسميهـا العجـم : رشتـه ، وكانت له في صغره خادم عجميـة تحضنـه وتكفله ، فكانت عندما تخدّعه وتلاعبه تقول له : رشطاله ، وكثر ذلك منها حتى غلب عـليـه ، وقيـل رشـــاطي » وانظر مجلة العرب للأستـاذ حمد الجاسـر ، س٢٦/ج١١-/، ص٧٢٤-٧٢٥/لجنة المجلة] .

(٧) لب اللباب : ١١٧ .

(٨) وفيات الأعيان ٢ : ٢٩٢ (تح. محي الدين عبد الحميد) ، [وفيات الأعيان ٣ : ١٠٧ ، تح. د. احسان عباس] .

(٩) تاج العروس (رشط) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يذكره في الباب الذي ينبغي أن يذكره فيه ، وهذه وجهة نظر للزبيدي صاحب تاج العروس .

بعد هذه الخطوط العريضة من ترجمة الرشاطي التي قدمناها بايجاز وانتقاء ، نقف أمام مخطوطة : « اقتباس الأنوار » بنفس الطريقة والمنهاج .

لقد حظي هذا الكتاب بشهرة واسعة منذ القرن السادس الهجري في الأندلس وأقطار المغرب والمشرق . واعتمده اللغويون والمحدثون والمؤرخون والرحالون وغيرهم وقام عدد من الأعلام باختصاره ، ومنهم من كان يسميه تسمية مختصرة فيقول : « الانساب » للرشاطي .

ومن المصادفات التاريخية أن يؤلف أبو سعد عبد الكريم السمعاني المروزي٥٦٢هـ١١٦٦م كتابه الشهير : « الأنساب » في نفس العصر وهو على طراز اقتباس الأنوار شكلاً ومضموناً مع بعض الفروق المعروفة .

وبالاستقراء والتتبع لمواد كتاب – الأنساب – يظهر أن السمعاني لم يستفد علمياً من مواد الرشاطي ، وان كانت وفاته قد تأخرت عن وفاة أبي محمد الرشاطي عشرين سنة .

كما أن السمعاني كان على صلة وثيقة ببعض أهل الأندلس وأقطار المغرب الذين جابوا أقطار المشرق في رحلاتهم العلمية ، ووصلوا إلى مرو ونيسابور ، وصاحب بعضهم وتبادل معهم الافادة والاستفادة ، وتحدث بذلك مرات في كتاب : « الانساب » في عدة مواد متفرقة منه .

والسمعاني يذكر في كتابه بعض الأنساب الأندلسية والمغربية مثل : الباجي ، والقرطبي ، والبطليوسي ، والسبتي ، والفاسي ، والأغماتي ، إلا أنه لا يستوعب . ولا يطيل النَّفَس كما هو الشأن بالنسبة للرشاطي الذي هو عمدة في الأنساب الأندلسية والمغربية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولو أنه اطلع على كتاب : اقتباس الأنوار أثناء تأليفه كتاب : الأنساب لما وقع في بعض الشكوك والأخطاء ، مثل قوله عن مدينة تلمسان :

« وظني أنها من نواحي الشام[١٠] » .

وقد عقب المؤرخ عز الدين ابن الأثير ٦٣٠هـ١٢٣٢م في كتابه : « اللباب في تهذيب الأنساب » على كلام السمعاني فقال :

« ليست تلمسان من نواحي الشام وإنما هي من افريقية بين بجاية وفاس[١١] » .

وتتبعُ المصادر والمؤلفات الأندلسية والمغربية والمشرقية التي اتخذت – اقتباس الأنوار – سنداً لها ومرجعاً تنقل عنه وتستشهد بكلامه ، ليس هدفاً لنا في هذا العرض .

وكذلك تتبع المؤلفات التي قام أصحابها في مختلف العصور باختصار كتاب : « اقتباس الأنوار » ليس هدفاً لنا أيضاً .

ويلفت النظر أن الذين رأوا كتاب : اقتباس الأنوار في صورته الكاملة ذكروا أنه متسع المادة وأن هذه المادة الراجعة إلى الأنساب : شرقية وأندلسية ومغربية مرتبة على الحروف وأن الكتاب يشتمل على ستة أجزاء ضخام كما يقول ابن حجر العسقلاني في كتابه : « تبصير المنتبه بتحرير المشتبه[١٢] » والشيخ مرتضى الزبيدي في تاج العروس[١٣] .

---

(١٠) الأنساب ٣ : ٧١ (ط. بيروت ١٩٨٠) .

(١١) اللباب في تهذيب الأنساب ١ : ٢٢٠ (ط. بيروت ١٩٨٠) .

(١٢) انظر مقدمة الكتاب ١ : ٢ (ط. القاهرة ١٩٦٤) ، ٤ : ١٥١٢ .

(١٣) تاج العروس ٥ : ١٤٣ (مادة رشط) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كما يلفت النظر أن كلاً من أبي الحسن علي الخزاعي كاتب أشغال الدولة المرينية في المغرب ٧٨٩هـ ١٣٨٩م .

وابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ ١٤٤٨م الحافظ المشهور .

يجعل كتاب : ـ اقتباس الأنوار ـ مصدراً له .

ـ الأول في كتاب : تخريج الدلالات السمعية(١٤) .

ـ والثاني في كتاب : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه .

واستخلاصاً من استقراءات وأبحاث متعددة يظهر أنه ـ حتى الساعة ـ لا يمكننا أن نشير إلى نسخة مخطوطة كاملة معروفة من كتاب : اقتباس الأنوار كالتي كانت بيد المؤلفين المستفيدين منها طوال قرون ، والمؤلفين الذين اختصروا موادها أو هذبوها .

وكل ما يمكن أن نشير إليه الآن مما هو موجود :

١ـ النقول المتعددة التي بقيت في عدة كتب أندلسية ومغربية ومشرقية وهي شيء كثير .

٢ـ المختصرات التي منها التام ومنها الناقص .

٣ ـ أقسام من أصل الكتاب يشار إليها عند الباحثين المهتمين بالرشاطي وكتابه . وقد ضاع بعضها من الخزائن التي كانت مقراً لها ، ولا نتتبع ذلك الآن .

---

(١٤) انظر المقدمة والخاتمة من هذا الكتاب (ط. بيروت 1980) . [نشرت دار الغرب الإسلامي ببيروت ١٩٨٥ كتاب تخريج الدلالات السمعية بتحقيق الدكتور إحسان عباس ، وقد عدّد المحقق (ص٨٣٢) المواضع التي ورد فيها النقل عن الرشاطي . وكان أبو الحسن الخزاعي قد ساق في ختام كتابه التواليف التي رجع إليها في كتابه ، فذكر من بينها كتاب اقتباس الأنوار (ص٧٩١)/لجنة المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا نودع الحديث عن الرشاطي الأندلسي وكتابه دون أن نشير إلى عملين مفيدين منشورين :

– **الأول** : نص نشرته مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد في عددها الرابع عشر سنة ١٩٦٧/١٩٦٨م وهو نص لابن الشباط التوزري المصري ٦٨١هـ ١٢٨٢م ساقه في شرحه للقصيدة المعروفة باسم : الشقراطيسية وهي من قصائد المدح النبوي ، واعتمد في ذلك النص على نقول من المختصر الذي كتبه عبد الحق الإشبيلي المعروف بابن الخراط ٥٨١هـ ١١٨٥م لكتاب : اقتباس الأنوار .

– **الثاني** : كتاب نشره المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمدريد ١٩٩٠م يشتمل على نصوص من كتاب اقتباس الأنوار ونصوص من اختصاراته اختيرت بعناية ودقة وهي خاصة بالأنساب المتعلقة بالمدن الأندلسية مع تقديم وتحقيق وفهرسة على جانب كبير من التنظيم والإتقان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net